(١٢)

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله).

ش: الاستعاذة الالتجاء والاعتصام، ولهذا يُسمَّى المستعاذ به: معاذًا وملجأ فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه، إلى ربه ومالكه، واعتصم واستجار به والتجأ إليه، وهذا تمثيل، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والإطراح بين يدى الرب، والافتقار إليه، والتذلل له، أمرٌ لا تحيط به العبارة. قاله ابن القيم رحمه الله.

وقال ابن كثير: الاستعاذة: هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شرِّ كل ذى شر. والعياذ يكون لدفع الشر. واللياذ لطلب الخير. انتهى.

قلت: وهي من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦] وأمثال ذلك في القرآن كثير كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك.

فمن صرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله جعله شريكًا لله في عبادته ونازع الرب في إلهيته كما أن من صلى لله صلى لغيره يكون عابدًا لغير الله، ولا فرق، كما سيأتي تقريره قريبًا إن شاء الله تعالى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]).

ش: قال ابن كثير: أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم.

كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم - إلى أن قال - قال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم: «رهقًا» أي خوفًا.

وقال العوفي عن ابن عباس «فزادوهم رهقًا» أي إثمًا، وكذا قال قتادة. اهـ.

وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد قفر وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد كبير الجن.

قال مجاهد: كانوا إذا هبطوا واديًا يقولون: نعوذ بعظيم هذا الوادي. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. قال: زادوا الكفار طغيانًا. رواه عبدُ بن حميد، وابن المنذر.

كما قال السُدي: كان الرجلُ يخرج بأهله، فيأتي الأرض فينزلها، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن، أن أُضرَّ فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي. قال: فإذا عاذ بهم من دون الله، رهَقَتهم الجنُّ الأذى عند ذلك.

وذكر عن ابن أبي حاتم بسندٍ إلى عكرمة نحو ذلك. انتهى.

وقد أجمع العلماء: على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله.

وقال مُلاَّ علي قاري الحنفي [(١)]: لا تجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية وقال: قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

فاستمتاع الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجنى بالإنسى تعظيمه إياه، وإستعاذته به وخضوعه له. انتهى ملخصًا.

قال المصنف: (وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك).

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» [(٢)]. رواه مسلم).

ش: هي خولة بنت حكيم بن أمية السلمية، يقال لها: أم شريك، ويقال إنها هي الواهبة وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون.

---

(١) هو: علي بن سلطان محمد الهروي، القاري، الحنفي، ولد بهراة، ورحل إلى مكة واستقر بها إلى أن توفى، من تصانيفه: مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح، شرح الرائية في رسم المصحف، أنوار القرآن وأسرار الفرقان. توفى سنة (١٠١٤هـ).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، حديث (٢٧٠٨).

obeikandl.com

قال ابن عبد البر [١]: وكانت صالحة فاضلة.

قوله: «**أعوذ بكلمات الله التامات**» شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته.

قال القرطبي: قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل معناه: معناه الشافية الكافية. وقيل الكلمات هنا هي القرآن. فإن الله أخبر عنه بأنه: ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى.

ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى كان من باب المندوب إليه المرغب فيه، وعلى هذا فحق المستعيذ بالله أو بأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويُحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه.

قال شيخ الإسلام: وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق. قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك.

وقال ابن القيم: ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخدامًا، وصَدَقَ، هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عباده، فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به.

قوله: «**من شر ما خلق**» قال ابن القيم رحمه الله: أي من كل شر في أي مخلوق قام به الشر: من حيوان أو غيره، إنسيًّا أو جنيًّا، أو هامة أو دابة، أو ريحًا أو صاعقة، أو أي نوع من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة.

وما: هاهنا موصولة وليس المراد بها العموم الإطلاقي، بل المراد التقييدي الوصفي،

---

(١) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي، المالكي، أبو عمر، محدث حافظ، مؤرخ، عارف بالرجال والأنساب، مقرئ، فقيه، نحوي. من تصانيفه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، جامع بيان العلم وفضله، الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار. وغيرها. توفي سنة (٤٦٣هـ).

والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله، فإن الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر، والشر يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يُفضي إليه.

قوله: «**لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**» قال القرطبي: هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة.

فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية [1] ليلاً، فتفكرتُ في نفسي، فإذا بي قد نسيتُ أن أتعوَّذ بتلك الكلمات.

(١) المهدية: مدينة عامرة ببلاد الأندلس.

obeikandl.com